الحسن البصري

أعــلام القضــاء

obeikandl.com

obeikandl.com

الحسن البصري

إنه علم من أعلام الصالحين، وإمام من أئمتهم ورجلاً من رجالاتهم، ما إن يذكر اسمه إلا ويذكر الزهد - وما إن يذكر الزهد إلا ويذكر اسمه.

رجل هو الزهد، والزهد هو، لم يدرك النبي ﷺ وإنما كان على درجة من الفطنة والزكاء، والخشية والإنابة والعقل والورع، والزهد والتقوى ما جعله يشبه الصحابة الكرام بل قال عنه علي بن زيد لو أدرك أصحاب رسول الله ﷺ وسلم وله مثل أسنانهم ما تقدّموه.

قال عنه أحد العلماء: كان جائعاً عالماً عالياً رفيعاً فقيها ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كبير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً.

قال عنه أحد الصحابة: لو أنه أدرك أصحاب رسول الله: لاحتاجوا إلى رأيه.

كانت أمه خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي ﷺ وكان مولده قبل نهاية خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بسنتين.

وكانت أمه تخرج إلى السوق أحياناً فتدعه عند أم سلمة فيصيح جوعاً فتلقمه أم سلمة ثديها لتعلله به، إلى أن تجيء أمه - وإذا برحمة الله تنزل على الثدي فيدر لبناً فيرضع الطفل حتى يرتوي.

فإذا هو يرتوي حكمة وفصاحة وتقى، فما إن شب الحسن إلا وينابيع الحكمة تنبع من لسانه وجمال الأسلوب ورصانة العبارة وفصاحة اللسان تتحدر من كلامه.

إنه الحسن بن أبي الحسن يسار، الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري المشهور بالحسن البصري، يقال: مولى زيد بن ثابت،

ويقال: مولى جميل بن قطبة.

وأمه خيرة مولاة أم سلمة، نشأ إمامنا في المدينة النبوية وحفظ القرآن في خلافة عثمان. وكانت أمه وهو صغير تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، وكان في جملة من دعا له عمر بن الخطاب.

قال: اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس.

فكان الحسن بعدها فقيهاً وأعطاه الله فهماً ثابتاً لكتابه وجعله محبوباً إلى الناس.

فلازم أبا هريرة وأنس بن مالك وحفظ عنهم أحاديث النبي ﷺ، فكان كلما سمع حديثاً عن المصطفى ازداد إيماناً وخوفاً من الله.

إلى أن أصبح من نساك التابعين ومن أئمتهم ومن وعاظهم ودعاتهم، وصار يرجع إليه في مشكلات المسائل وفيما اختلف فيه العلماء، فهذا أنس بن مالك، سُئل عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن، قالوا: يا أبا حمزة نسألك، تقول: سلوا الحسن؟ قال: سلوا مولانا الحسن. فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا.

وقال أنس بن مالك أيضاً: إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين الحسن البصري ومحمد بن سيرين.

وقال قتادة: وما جالست رجلاً فقيهاً إلا رأيت فضل الحسن عليه، وكان الحسن مهيباً يهابه العلماء قبل العامة، قال أيوب السختياني: كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج (سنين) ما يسأله عن مسألة هيبة.

وكان الحسن البصري إلى الطول أقرب، قوي الجسم، حسن المنظر، جميل الطلعة مهايباً.

قال عاصم الأحول: قلت للشعبي: لك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت البصرة فأقرئ الحسن مني السلام، قلت: ما أعرفه، قال: إذا دخلت البصرة فانظر إلى أجمل رجل تراه في عينيك وأهيبه في صدرك فأقرئه مني السلام، قال فما عدا أن دخل المسجد فرأى الحسن والناس حوله جلوس فأتاه وسلّم عليه.

وكان الحسن صاحب خشوع وإخبات ووجل من الله، قال إبراهيم اليشكري: ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

وقال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، فأما الحسن بن أبي الحسن البصري. فما رأينا أحداً من الناس كان أطول حزناً منه، وكان يقول أي الحسن: نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا.

فقال: لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إن من عصى الله فقد حاربه، والله لقد أدركت سبعين بدرياً، لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.

قال مطر الوراق: الحسن كأنه رجل كان في الآخرة ثم جاء يتكلم عنها، وعن أهوالها. فهو بخبر عما رأي وعاين.

وقال حمزة الأعمى: وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يوماً: إنك تكثر البكاء، فقال: يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكِ؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة. فإن استطعت أن تكون عمرك باكيا فافعل، لعله تعالى أن يرحمك.

ثم ناد الحسن: بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر دموعه قطرة حتى تعتق رقبته من النار.

وقال حكيم بن جعفر: قال لي من رأى الحسن: لو رأيت الحسن لقلت: قد بث عليه حزن الخلائق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج.

قال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهماً.

وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي.

لله ما أطهر هذه القلوب، ولله ما أزكى هذه النفوس، بالله عليك قل لي: هل أرواحهم خلقت من نور أم أطلعوا على الجنة وما فيها من الحور أو عايشوا النار وما فيها من الدثور أم إنه الإيمان يكسى ويحمل فيكون كالنور نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

سبحان الله لا إله إلا الله، ما الذي تغيّر هل لهم كتاب غير كتابنا أم أرواح غير أرواحنا أم لهم أرض غير أرضنا، لا والله لكنها القلوب تغيرت والنفوس أمنت والأجساد تنعمت، غيرتها الذنوب وقيدتها المعاصي حتى أصبحنا لا نرى هذه الصور الإيمانية ولا النفوس القرآنية وصرنا نذكرها كفقير يذكر غناه أو بئسٍ ينادي فرحة دمناه، أين إخبات الصالحين، أو خشوع المؤمنين أو دموع التائبين أو أنين الخائفين.

أين أهل الإيمان، كمدتُ ألا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

كان الحسن البصري صاحب مواعظ وتذكير، ولكلامه أثر في النفوس وتحريك للقلوب.

قال الأعمش: ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها.

وكان أبو جعفر الباقي إذا ذكره يقول: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

ولما أراد الوالي عدي بْن أرطاة أن يوليه القضاء فاجتمع به مطولا، ثم خرج من عنده، وهو كئيب حزين، خبيث النفس، فقال للناس: إن هَذَا الرجل أجلسني للناس قاضياً فأعلمنه كبر سني، وضعفي، فإنه لا طاقة لي بالقضاء، فقال: أعني أياماً حتى أقعد مكانك رجلاً.

وقد تولي القضاء في خلافة عمر بن عبد العزيز علي مضض منه.

و لما ولي الْحَسَن القضاء، أتاه خصمان فجلسا بين يديه، فرفع أحدهما صوته على الآخر، فبكى الْحَسَن، وقال: ارحماني، فإني شيخ كبير، يعني: إن رضيت فهو جور في الحكم.

ولم يكن يتقاضي علي القضاء أجرا فقد أرسل إليه عدي بْن أرطاة بمائتي درهم، فردها فزاده، فَقَالَ: الْحَسَن: إني لم أردها استقلالاً لها ولكني لا آخذ على القضاء أجراً.

وروي عنه أنه قال: أكره أن آخذ على القضاء أجراً (١).

ومن كلامه رحمه الله:

- روى الطبراني عنه أنه قال: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، رجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة.

(١١) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، أخبار القضاة، ٢ / ٨.

- يقول أحدهم: إني لحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله، وكذب، ولو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة (الصحراء) من غير زاد ولا ماء أن يهلك.

- عن حميد قال: بينما الحسن في المسجد تنفس تنفساً شديداً ثم بكى حتى أرعدت منكباً ثم قال: لو أن بالقلوب حياةً، لو أن بالقلوب صلاحاً لأبكتكم من ليلةٍ صبيحتها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر من عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيامة.

- وجاء شاب إلى الحسن فقال: أعياني قيام الليل (أي حاولت قيام الليل فلم أستطعه)، فقال: قيدتك خطاياك.

- وجاءه آخر فقال له: إني أعصي الله وأذنب، وأرى الله يعطيني ويفتح علي من الدنيا، ولا أجد أني محروم من شيء فقال له الحسن: هل تقوم الليل فقال: لا، فقال: كفاك أن حرمك الله مناجاته.

- وكان يقول: من علامات المسلم قوة دين، وجزم في العمل وإيمان في يقين، وحكم في علم، وحسن في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة (جوع) وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف وصبر في شدة.

لا ترديه رغبته ولا يبدره لسانه، ولا يسبقه بصره، ولا يقلبه فرجه، ولا يميل به هواه، ولا يفضحه لسانه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نغيته.

- وقال له رجل: إن قوماً يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقيعة فيك سبيلاً (أي يتصيدون الأخطاء).

فقال: هون عليك يا هذا، فإني أطمعت نفسي في الجنان فطمعت، وأطعمتها في النجاة من النار، فطمعت، وأطمعتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سبيلاً، فإن الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم؟

- وسُئل الحسن عن النفاق فقال: هو اختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، ما خافه إلا مؤمن (أي النفاق) ولا أمنه إلا منافق، صدق من قال: إن كلامه يشبه كلام الأنبياء.

يا بن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا:

- قال الحسن البصري رحمه الله: يا بن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا، يا بن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه، الثواء ها هنا قليل، والبقاء هناك طويل، أمتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم، فماذا تنتظرون المعاينة فكأن قد هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحاليها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم، فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة، أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم، من رأي محمدا فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر إليه، فالوحاء الوحاء والنجاء النجاء علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون فماذا تنتظرون إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا عليه الصلاة والسلام على علم منه اختاره لنفسه وبعثه برسالته وأنزل عليه كتابه وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض وآتاه منها قوتا

وبلغة ثم قال:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [الأحزاب: ٢١].

فرغب أقوام عن عيشه وسخطوا ما رضي له ربه فأبعدهم الله وأسحقهم.

يا بن آدم طإ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك:

- يا بن آدم طإ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك واعلم أنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك رحم الله رجلا نظر فتفكر وتفكر فاعتبر وأبصر فصبر فقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا

يا بن آدم اذكر قوله:{ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ } [الإسراء: ١٣ - ١٤] عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك، خذوا صفا الدنيا وذروا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدرا ولا الكدر ما عاد صفوا، دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم، ظهر الجفاء، وقلت العلماء، وعفت السنة، وشاعت البدعة، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلا قرة العين وجلاء الصدور، ولقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها، ما لي أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا، ذهب الناس وبقي النسناس لو تكاشفتم ما تدافنتم تهاديتم الأطباق، ولم تهادوا النصائح، قال ابن الخطاب: رحم الله امرأ أهدى إلينا مساوينا، أعدوا الجواب، فإنكم مسؤولون، المؤمن من لم يأخذ دينه عن رأيه ولكنه أخذه من قبل ربه، إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم وما يصبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه.

يا بن آدم الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلوب وصدقه العمل.

ستعلم يا لكع:

- وكان إذا قرأ:{أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١} [التكاثر: ١]، قال عم ألهاكم عن دار الخلود وجنة لا تبيد هذا والله فضح القوم وهتك الستر وأبدى العوار تنفق مثل دينك في شهواتك سرفا وتمنع في حق الله درهما ستعلم يا لكع الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف وقومه ذكر العرض وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف فأدعن بالجزية وسمح بالضريبة وأما المنافق ففي الحجرات والطرقات يسرون غير ما يعلنون ويضمرون غير ما يظهرون فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة ويلك قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته.

رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله:

- وكان يقول: رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله وإن خالفه أعتب وأناب وراجع من قريب، رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال: يأهلى صلاتكم صلاتكم زكاتكم زكاتكم جيرانكم، جيرانكم إخوانكم إخوانكم مساكينكم مساكينكم لعل الله يرحمكم فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال:{وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥} [مريم: ٥٥]، يا بن آدم كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس.

فلا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر:

- وكان يقول لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس

بعيب هو فيه ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبا إلا وجد في نفسه عيبا آخر ينبغي له أن يصلحه فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره فلا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر فإنك إذا رأيته سرك مكانه ولا تحقرن شيئا من الشر وإن صغر فإنك إذا رأيته ساءك مكانه.

رحم الله عبدا كسب طيبا وأنفق قصدا:

- وكان يقول رحم الله عبدا كسب طيبا وأنفق قصدا وقدم فضلا وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله وضعوها حيث أمر الله فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها فلا والله ما وجد ذو لب فيها فرحا فإياكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة وميعادها النار أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون خدودهم تجري دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم في فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة سرتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم وإذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم يا بن آدم إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يغنيك وإن كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك يا بن آدم لا تعمل شيئا من الحق رياء ولا تتركه حياء.

لا أذهب إلى من يوارى عني غناه ويبدي لى فقره ويغلق دوني بابه:

- وكان يقول إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة في علمهم

فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم وزهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم وكان يقول لا أذهب إلى من يوارى غني غناه ويبدي لى فقره ويغلق دوني بابه ويمنعني ما عنده وأدع من يفتح لي بابه ويبدي لي غناه ويدعوني إلى ما عنده.

وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله

- وكان يقول: يا بن آدم لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر مؤمن مهتم وعلج اغتم وأعرابي لا فقه له ومنافق مكذب ودنياوي مترف نعق بهم ناعق فاتبعوه فراش نار وذبان طمع والذي نفس الحسن بيده ما أصبح في هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموما حزينا وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله الناس ما داموا في عافية مستورون فإذا نزل بلاء صاروا إلى حقائقهم فصار المؤمن إلى إيمانه والمنافق إلى نفاقه أي قوم إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم فسارعوا إلى ربكم فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه.

فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا:

- وقال في يوم فطر وقد رأى الناس وهيئاتهم إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابو فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون أما والله أن لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته عن ترجيل شعر أو تجديد ثوب [1].

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية

لأن يتعلم الرجل باباً من العلم:

- عن الحسن البصري قال: لأن يتعلم الرجل باباً من العلم فيعبد به ربه فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها إلى آخرها له فوضعها في الآخرة.

إن كنتَ على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم:

قيل للحسن البصري: سبقنا القوم على خيلٍ دُهمٍ ونحن على حمر معقرة! فقال: إن كنتَ على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم.

- الرجاء والخوف مطيتا المؤمن.

- الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

- قال يوسف بن عطية الصفار: رأيت الحسن البصري قاعداً في الشمس يفُتُّ لُبابَ الخبز للنمل.

- قيل للحسن البصري: ما حسن الخلق؟ قال: بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه.

- اللهم لا تجعلني ممن إذا مرض ندم، وإذا استغنى فُتِن وإذا افتقر حزِن.

- قيل للحسن البصري: كيف ترى الدنيا؟ قال: شغلني توقع بلائها عن الفرح برخائها.

- نعمت الدار كانت الدنيا للمؤمن وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة؛ وبئست الدار كانت للكافر والمنافق؛ وذلك أنه تمتع ليالي وكان زاده منها إلى النار.

- بيروت، ٢ / ٤٩٠.

اللهم رَبّ هذه الأجساد البالية والعِظام النّخرة:

- وكان الحَسَن البَصريّ إذا دخل المقبرة قال: اللهم رَبّ هذه الأجساد البالية والعِظام النّخرة التي خَرَجت من الدُّنيا وهي بك مؤمنة أدخِل عليها رَوحاً منك وسَلاماً منَّا.

- كانوا يقولون: موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

- إنما غلبهم عمر ﷺ بالصبر واليقين؛ لا بالصوم والصلاة.

بين مخافتين:

- إنَّ المؤمنَ يُصبحُ حزيناً ويمسي حزيناً، ولا يسعُهُ غيرُ ذلكَ، لأنهُ بين مخافتين: بين ذنب قد مضى لا يدري ما اللهُ يصنعُ فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما يُصيبُ فيه منَ المهالك.

إن المؤمن يصبح حزيناً:

- إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً وينقلب باليقين في الحزن، ويكفيه ما يكفي العنيزة، الكف من التمر والشربة من الماء.

لَمَنْ يعلم أنَّ الموتَ موردُهُ:

- يحقُّ لمَنْ يعلم أنَّ الموتَ موردُهُ وأنَّ الساعةَ موعدُهُ وأنَّ القيامَ بين يدي اللهِ تعالى مشهدُهُ: أنْ يطولَ حزنُه.

وحق للمؤمن أن يحزن وجهنم أمامه:

- ذكر الحسن ذات يوم قول أهل الجنة:{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ} [فاطر: ٣٤]، فقال: أحزان أهل الدنيا يقطعها الموت، لكن أحزان الأخرة! وحق للمؤمن أن يحزن وجهنم أمامه مسيرة ثلاثة آلاف سنة؛ ألف سنة في هبوط، وألف سنة على متنها، وألف سنة في

الصعود.

يا عجباً ممن يلغُ في دماء المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث:

- يروى عن أبي بكر الهذلي قال: كنا عند الحسن البصري إذ أقبل وكيع بن أبي أسود فقال: يا أبا سعيد ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب أيصلى فيه؟ فقال الحسن: يا عجباً ممن يلغُ في دماء المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث فقام وكيع ينخلج في مشيته تخلج المجنون فقال الحسن: لله في كل عضو منك نعمة، اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك.

يعارض جبار السماوات والأرض!!:

- العجب لابن آدم يغسل يده بالخرء مرتين ثم يتكبر!! يعارض جبار السماوات والأرض!!.

- يا ابن آدم كيف تتكبر وأنت خرجت من سبيل البول مرتين؟!!

إذا هانت عليك صلاتك؟!:

- ابن آدم أي دينك يعز عليك إذا هانت عليك صلاتك؟! وإذا هانت عليك صلاتك فهي على الله أهون.

- الصلاة خير موضوع، من شاء استقل، ومن شاء استكثر.

- إذا قمت إلى الصلاة فقم قانتاً كما أمرك الله وإياك والسهو والالتفات أن ينظر الله إليك وتنظر إلى غيره، تسأل الله الجنة وتعوذ به من النار وقلبك ساه ولا تدري ما تقول بلسانك.

- الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر لم تزد صاحبها الا بعداً.

- قعد الحسن ليلة حتى الصبح فقيل له، فقال: غلبتني نفسي عن

الصلاة فقلت لها: فاقعدي! فلم يدعها تنام حتى الصبح.

ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟:

قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره نوراً.

قال الحسن: نعم الشتاء للمؤمن، ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه.

ما الحج المبرور؟:

- سئل الحسن البصري: ما الحج المبرور؟ فقال: أن تعود زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

- من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، خذلاناً من الله عز وجل.

- لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يهلك الرجل نفسه.

فما بقى من المروءة إذاً؟!

- قال عبد الأعلى السمسار: قال الحسن: يا عبد الأعلى أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة؟ قلت: لا والله ولا دانق واحد؛ فقال الحسن: إنْ هذه الأخلاق فما بقى من المروءة إذاً[1]؟!

- قال: وكان الحسن يقول: لا دين إلا بمروءة؛ وباع بغلة له فقال له المشتري: أما تحط لي شيئاً يا أبا سعيد؟ قال: لك خمسون

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٢٦٨/٩) أن عبد الأعلى السمسار قال: قال الحسن: يا عبد الأعلى أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة؟ قلت: لا والله ولا دانق واحد، فقال الحسن: إنْ هذه الأخلاق فما بقى من المروءة إذاً؟ قال: وكان الحسن يقول: لا دين إلا بمروءة؛ وباع بغلة له فقال له المشتري: أما تحط لي شيئاً يا أبا سعيد؟ قال: لك خمسون درهماً، أزيدك؟ قال: لا، رضيت؛ قال: بارك الله لك.

درهماً، أزيدك؟ قال: لا، رضيت؛ قال: بارك الله لك.

- ذكر مبارك أن الحسن قلع ضرسه فأعطاه درهماً، قالوا له: إنه بنصف درهم؛ فقال: أعطوه درهماً فإن المسلم لا يقاسم المسلم درهماً.

- قال الزبير الحنظلي: قلت للحسن: صليت يا أبا سعيد؟ قال: لا، قلت: إن أهل السوق قد صلوا؛ قال: إن أهل السوق لا خير فيهم؛ بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم.

يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟!:

- بعث الحسن البصري قوماً من أصحابه في قضاء حاجة لرجل، وقال لهم: مروا بثابت البناني فخذوه معكم؛ فأتوا ثابتاً فقال: أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال: قولوا: يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟! فرجعوا إلى ثابت فترك اعتكافه وذهب معهم.

مواقف من حياة الحسن البصري:

إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله:

لما ولي عمر بن هبيرة الفزارى العراق وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي سنة ثلاث ومائة فقال لهم إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره أعرف في تنفيذه الهلكة فأخاف إن أطعته غضب الله وإن عصيته لم آمن سطوته فما ترون، فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية وكان ابن هبيرة لا يستشفي دون أن

يسمع قول الحسن فقال: قل ما عندك يا أبا سعيد فقال: يا بن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك يا بن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك:

وفي رواية أخرى قال: أقول والله إنه يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فلا يغني عنك ابن عبد الملك شيئا وإني لأرجو أن الله عز وجل سيعصمك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله فاتق الله أيها الأمير فإنك لا تأمن أن ينظر الله إليك وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد نظرة يمقتك بها فيغلق عنك باب الرحمة واعلم أنى أخوفك ما خوفك الله سبحانه حين يقول:{ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم: ١٤]، وإذا كنت مع الله عز وجل في طاعته كفاك بوائق يزيد وإن كنت مع يزيد على معصية الله وكلك الله إلى يزيد حين لا يغني عنك شيئا، فبكى عمر بن هبيرة بكاء شديدا ثم أجازهم وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبي لابن سيرين سفسفنا له فسفسف لنا.

فضحتم القراء فضحكم الله:

وفي الخبر أن الحسن البصري مر على باب ابن هبيرة وعليه القراء فسلم ثم قال: ما لي أراكم جلوساً قد أحفيتم شواربكم وحلقتم

رؤوسكم وقصرتم أكمامكم وفلطحتم نعالكم؟! أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، فضحتم القراء فضحكم الله!.

أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم:

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي البغدادي [1] قال: مرّ الحسن البصريّ رحمه الله بباب عمر بن هبيرة، وعليه القرّاء، فسلمّ ثم قال: ما لكم جلوساً قد أحفيتم شواربكم، وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم؟ أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم ولكنّكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم فضحتم القرّاء فضحكم الله؛ قال عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي: قلت لعمي: ما المفلطح؟ قال: هو الشيء يعرض أعلاه ويدقّ أسفله، ومنه قيل: رأسٌ مفلطحٌ، والعامة تقول مفرطحٌ.

وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم؟!:

وقال السيوطي: أخبرنا خلف بن تميم عن أبي همام الكلاعي، عن الحسن أنه مر ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين، فقال: أقرحتم جباهكم، وفرطحتم نعالكم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم؟! أما إنكم، لو جلستم في بيوتكم لكان خيراً لكم، تفرقوا فرق الله بين أعضائكم.

اتق الله في نفسك وإياك والأماني:

وأحضر النضر بن عمرو وكان واليا على البصرة الحسن البصري يوما فقال يا أبا سعيد إن الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها من رياشها

(١) كتاب الأمالي، ص٣.

وبهجتها وزينتها لعباده وقال عز وجل:{وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، وقال عز من قائل:{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} [الأعراف: ٣٢]، فقال الحسن: أيها الرجل اتق الله في نفسك وإياك والأماني التي ترجحت فيها فتهلك إن أحدا لم يعط خيرا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة بأمنيته وإنما هي داران من عمل في هذه أدرك تلك ونال في هذه ما قدر له منها ومن أهمل نفسه خسرهما جميعا إن الله سبحانه اختار محمدا ﷺ لنفسه وبعثه برسالته ورحمته وجعله رسولا إلى كافة خلقه وأنزل عليه كتابا مهيمنا وحد له في الدنيا حدودا وجعل له فيها أجلا ثم قال عز وجل:{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١]، وأمرنا أن نأخذ بأمره ونهتدي بهديه وأن نسلك طريقته ونعمل بسنته فما بلغنا إليه فبفضله ورحمته وما قصرنا عنه فعلينا أن نستعين ونستغفر فذلك باب مخرجنا فأما الأماني فلا خير فيها ولا في أحد من أهلها فقال النضر: والله يا أبا سعيد إنا على ما فينا لنحب ربنا فقال الحسن لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله فأنزل الله تعالى عليه:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ} [آل عمران: ٣١]، فجعل سبحانه اتباعه علما للمحبة وأكذب من خالف ذلك فاتق الله أيها الرجل في نفسك وايم الله لقد رأيت أقواما كانوا قبلك في مكانك يعلون المنابر وتهتز لهم المراكب ويجرون الذيول بطرا ورياء الناس يبنون المدر ويؤثرون الأثر ويتنافسون في الثياب أخرجوا من سلطانهم وسلبوا ما جمعوا من دنياهم وقدموا على ربهم ونزلوا على أعمالهم فالويل لهم يوم التغابن ويا ويحهم:{يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾} [عبس: ٣٤ - ٣٧].

فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفاني وترك الباقي:

ودخل عليه يوما آخر فقال: أيها الأمير أيدك الله إن أخاك من نصحك في دينك وبصرك عيوبك وهداك إلى مراشدك وإن عدوك من غرك ومناك أيها الأمير اتق الله فإنك أصبحت مخالفا للقوم في الهدى والسيرة والعلانية والسريرة وأنت مع ذلك تتمنى الأماني وترجح في طلب العذر والناس أصلحك الله طالبان فطالب دنيا وطالب آخرة وايم الله لقد أدرك طالب الآخرة واستراح وتعب الآخر واخترم فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفاني وترك الباقي فتكون من النادمين واعلم أن حكيما قال:

أين الملوك التي عن حظها غفلت ::: حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدي لقد حدثت أيها الأمير عن بعض الصالحين أنه كان يقول: كفي بالمرء خيانة أن يكون للخونة أمينا وعلى أعمالهم معينا.

أما أهل السماوات فقد مقتوك وأما أهل الأرض فقد لعنوك:

وروي أن الحجاج بني دارا بواسط وأحضر الحسن ليراها فلما دخلها قال: الحمد لله إن الملوك ليرون لأنفسهم عزا وإنا لنرى فيهم كل يوم عبرا يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده وإلى فرش فينجده وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ثم يحف به ذباب طمع وفراش نار وأصحاب سوء فيقول انظروا ما صنعت فقد رأينا أيها المغرور فكان ماذا يا أفسق الفاسقين أما أهل السماوات فقد مقتوك وأما أهل الأرض فقد لعنوك بنيت دار الفناء وخربت دار البقاء وغررت في دار الغرور لتذل في دار الحبور ثم خرج وهو يقول إن الله سبحانه أخذ عهده على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه.

وبلغ الحجاج ما قال فاشتد غضبه وجمع أهل الشأم فقال: يأهل الشأم أيشتمني عبد من عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون ثم أمر بإحضاره فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يسمع حتى دخل على الحجاج فقال: يا أبا سعيد أما كان لإمارتي عليك حق حين قلت ما قلت فقال: يرحمك الله أيها الأمير إن من خوفك حتى تبلغ أمنك أرفق بك وأحب فيك ممن أمنك حتى تبلغ الخوف وما أردت الذي سبق إلى وهمك والأمران بيدك العفو والعقوبة فافعل الأولي بك وعلى الله فتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل فاستحيا الحجاج منه واعتذر إليه وأكرمه وحياه.

وفي رواية أخرى فلما دخل قال له الحجاج ها هنا فأجلسه قريبا منه وقال ما تقول في علي وعثمان قال: أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال فرعون لموسى:{فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾} [طه: ٥١ - ٥٢]، علم علي وعثمان عند الله قال أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ودعا بغالية وعلف بها لحيته فلما خرج تبعه الحاجب فقال له ما الذي كنت قلت حين دخلت عليه قال: قلت: يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي، ويا ولي نعمتي، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ارزقني مودته واصرف عني أذاه ففعل ربي عز وجل.

أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله

الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى وخازن المساكين يربي صغيرهم ويمون كبيرهم والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر إلى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وفرق ماله واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك يسلمونك في قعره فريدا وحيدا فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل

وانقطاع الأمل لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك لا تنظر إلى قدرتك اليوم ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحي القيوم.

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي فلم آلك شفقة ونصحا فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

الفائز من حرص على السلامة في دار الإقامة:

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله اكتب إلي يا أبا سعيد بموعظة فأوجز فكتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فكأن الذي كان لم يكن وكأن الذي هو كائن قد نزل واعلم يا أمير المؤمنين أن الصبر وإن أذاقك تعجيل مرارته فلنعم ما أعقبك من طيب حلاوته وحسن عاقبته وأن الهوى وإن أذاقك طعم حلاوته فلبئس ما أعقبك من مرارته وسوء عاقبته واعلم يا أمير المؤمنين أن الفائز من حرص على السلامة في دار الإقامة وفاز بالرحمة فأدخل الجنة.

فالرخاء فيها موصول بالشدة والبلاء:

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز اكتب إلي يا أبا سعيد بذم الدنيا فكتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فإن الدنيا دار ظعن

وانتقال وليست بدار إقامة على حال وإنما أنزل إليها آدم عقوبة فاحذرها فإن الراغب فيها تارك والغني فيها فقير والسعيد من أهلها من لم يتعرض لها إنها إذا اختبرها اللبيب الحاذق وجدها تذل من أعزها وتفرق من جمعها فهي كالسم يأكله من لا يعرفه ويرغب فيه من يجهله وفيه والله حتفه فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا الصبر على لأوائها أيسر من احتمال بلائها واللبيب من حذرها ولم يغتر بزينتها فإنها غدارة ختالة خداعة قد تعرضت بآمالها وتزينت لخطابها فهي كالعروس العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة وهي والذي بعث محمدا بالحق لأزواجها قاتلة فاتق يا أمير المؤمنين صرعتها واحذر عثرتها فالرخاء فيها موصول بالشدة والبلاء والبقاء مؤد إلى الهلكة والفناء.

أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر:

واعلم يا أمير المؤمنين أن أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وتاركها موفق والمتمسك بها هالك غرق والفطن اللبيب من خاف ما خوفه الله وحذر ما حذره وقدر من دار الفناء إلى دار البقاء فعند الموت يأتيه اليقين الدنيا والله يا أمير المؤمنين دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده والحازم اللبيب من كان فيها كالمداوي جراحه يصبر على مرارة الدواء لما يرجو من العافية ويخاف من سوء عاقبة الدار والدنيا وايم الله يا أمير المؤمنين حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت والعباد في أضغاث أحلام وإني قائل لك يا أمير المؤمنين ما قال الحكيم

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ::: وإلا فإني لا إخالك ناجيا

ولما وصل كتابه إلى عمر بكى وانتحب حتى رحمه من كان عنده وقال: يرحم الله الحسن فإنه لا يزال يوقظنا من الرقدة وينبهنا من الغفلة والله هو من مشفق ما أنصحه وواعظ ما أصدقه وأفصحه.

إن لم يتقوا استحيوا، وإن لم يستحيوا تكرموا:

وكتب عمر إلى الحسن: أعِنّي بأصحابك، فأجابه الحسن: من كان من أصحابي يريد الدنيا فلا حاجةَ لك فيه، ومن كان منهم يريد الآخرةَ فلا حاجةَ له قِبَلَكَ، ولكن عليك بذوي الأحساب فإنهم إن لم يتقوا استحيوا، وإن لم يستحيوا تكرموا.

اتقوا الله فإن عند الله حجاجين كثيراً:

كان الحسن البصري إذا ذكر الحجاج قال: يتلو كتاب الله على لَخْمٍ وجُذام ويعظ عظة الأزارقة ويبطش بطش الجبارين؛ وكان يقول: اتقوا الله فإن عند الله حجاجين كثيراً.

لا بد للناس من تنفيسات:

قيل للحسن: إنك تقول: الآخِر شرٌّ من الأول، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج!! فقال الحسن: لا بد للناس من تنفيسات.

ما كان أغره بالله:

كان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن فيؤذيهم فقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تكلم الأمير حتى يصرفه عنا؟ فسكت عنهم فأقبل ذات يوم والحسن جالس مع أصحابه فلما رآه قال: اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت، فخر الرجل من قامته فما حمل إلى أهله إلا ميتا على سرير فكان الحسن إذا ذكره بكى وقال: البائس! ما

كان أغره بالله[1].

خير الناس وشر الناس!:

والتقى الحسن والفرزدق في جنازة، فقال الفرزدق للحسن: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون؟: اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس! فقال الحسن: كلا، لست بخيرهم، ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستون سنة، وخمس نجائب لا يدركن - يعني الصلوات الخمس - فيزعم بعض التميمية أن الفرزدق رئي في النوم، فقيل له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي. فقيل له: بأي شيء فقال: بالكلمة التي نازعني فيها الحسن [2].

فإني لا أحبسه لك حتى يكد على نفسه وعياله

عَن غالب القطان؛ قَالَ: شهدت الْحَسَن، وهو قاض، أقر عنده رجل بدين، فقال: أحبسه لي قال: هَلْ تعلم له مالاً فتأخذه فنعطيك، أو شيئاً له يبيعه فندفع إليك ثمنه؟ قَالَ: لا قال: فإني لا أحبسه لك حتى يكد على نفسه وعياله.

ما الصلح أردتما

عَن طلحة القصاب عَن الْحَسَنِ؛ أنه تقدم إليه حَيْثُ استقضى رجلان من ثقيف يختصمان إليه؛ فَقَالَ: الْحَسَن: وأنتما أيضاً في

(١) وهذه رواية أخرى: كان رجل من الخوارج يغشي مجلس الحسن البصري فيؤذيهم فلما ازداد أذاه قال الحسن: اللهم قد عملت أذاه لنا فاكفناه بما شئت؛ فخر الرجل من قامته؛ فما حمل إلى أهله إلا ميتاً على سريره. أنظر: جامع العلوم والحكم ص٣٦٨.

(٢) محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ١ / ١٠١.

أسنانكما، وقرابتكما تختصمان؛ فقالا: يا أبا سعيد إنما أردنا الصلح، قال: فنعم أذا، فتكلما فوثب كل واحد منهما على صاحبه بالتكذيب، قال: يقول الْحَسَن: كذبتما ورب الكعبة قَالَ: الله: إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهما، ما الصلح أردتما.

فما ذنبي إن كان ما عندك مثل الهدبة

عَن أشعث، قال: خاصمت إِلَى الْحَسَن في بنت مؤذن لنا ادعت أن زوجها لا يقدر أن يدخل بها، وقَالَ: هو: بلى قد دخلت بها، فَقَالَ: الْحَسَن: فما ذنبي إن كان ما عندك مثل الهدبة [1] فأجله سنة يتداوى.

فاذهب مع أيهما شئت

قال أَبُو عتبة شريك أبي عونة: هلك أبي في طاعون، فكفلته ظئري[2]حتى إِذَا قاربت جاء عمي فخاصمها فيّ فارتفعنا إِلَى الْحَسَن، وهو على القضاء قاعد في المسجد، ظهره إِلَى المنارة، فقال: يا غلام هَذَا عمك، وهذه ظئرك، فاذهب مع أيهما شئت فذهبت مع ظئري.

ذلك عملك بنفسك:

عَن سوار بْن مسعود أبي سهل اليربوع، قال: خاصمت إِلَى الْحَسَن فجاء شهود، فشهدوا علي، منهم موسى بْن سالم، وصالح بْن هرمان، فَقَالَ: الْحَسَن: ما تقول في هؤلاء؟ فَقَالَ: عدول مرضيون، فقضى علي، فقلت والله لقد قضيت علي بجور، قال: ذلك عملك بنفسك، شهدت أنهم عدول مرضيون [3].

(١) الهُدْبة والهُدْبةُ الشَّعَرةُ النَّابِتةُ على شُفْر العَيْن والجمع هُدْبٌ.
(٢) قيل للمرأة الحاضنة ولد غيرها ظئر وللرجل الحاضن ولد غيره ظئر.
(٣) وكيع، أخبار القضاة، ٢ / ١٤.

كلمات حكيمة للحسن البصري:

- احذر من نقل إليك حديث غيرك فإنه سينقل إلى غيرك حديثك أيها الناس إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ولا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عن المعصية فمن قدر على ذلك فقد نال أفضل الصبرين أفضل الجهاد جهاد الهوى لا تكن ممن يجمع علم العلماء وحكم الحكماء ويجري في الحق مجرى السفهاء من خاف الله أخاف الله سبحانه منه كل شيء، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء لولا ثلاثة ما طأطأ ابن آدم رأسه الموت والمرض والفقر وإنه بعد ذلك لوثاب احذروا العابد الجاهل والعالم الفاسق فإن فيهما فتنة لكل مفتون ترك الخطيئة أهون من معالجة التوبة لا تكن شاة الراعي أعقل منك تزجرها الصيحة وتطردها الإشارة المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان بأمر ووجه واحد ونصيحة واحدة وإنما يتبدل المنافق ليستأكل كل قوم المؤمن صدق قوله فعله وسره علانيته ومشهده مغيبه لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت الفكرة من عمله.

والذكر من شأنه والمحاسبة من همته ولا يزال بشر ما استعمل التسويف واتبع الهوى وأكثر الغفلة ورجح في الأماني الحق مر لا يصبر عليه إلا من عرف حسن العاقبة ومن رجا الثواب خاف العقاب حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور واقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة وإنكم إلا تزعوها تنزع بكم إلى شر غاية يا بن آدم نهارك ضيفك فأحسن إليه فإنك إن أحسنت إليه ارتحل يحمدك وإن أسأت إليه ارتحل يذمك

وكذلك ليلك إنما أنت أيها الإنسان عدد فإذا مضى لك يوم فقد مضى بعضك وقيل له: يا أبا سعيد من أشد الناس صراخا يوم القيامة فقال رجل رزق نعمة فاستعان بها على معصية الله وكان يقول لو قمت الليل حتى ينحني ظهرك وصمت النهار حتى يسقم جسمك لم ينفعك ذلك إلا بورع صادق وسمع رجلا يكثر الكلام فقال: يا بن أخي أمسك عليك لسانك فقد قيل ما شيء أحق بسجن من لسان وكان يقول لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلي أحب خلق الله إلى الله فأفسده لكان ينبغي للعاقل أن يتركه يعني العقل ويقول: ما أطال أحد الأمل إلا أساء العمل وما أساء العمل إلا ذل.

- وقال: يا عجبا لقوم قد أمروا بالزاد وأوذنوا بالرحيل وأقام أولهم على آخرهم فليت شعري ما الذي ينتظرون وقال اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها وقال ليس العجب ممن عطب كيف عطب إنما العجب ممن نجا كيف نجا وقال: من أخلاق المؤمن قوة في دين وحرص على العلم وقناعة في فقر ورحمة للمجهود وإعطاء في حق وبر في استقامة وفقه في يقين وكسب في حلال.

وفاة الحسن البصري:

- توفي الإمام الحسن البصري وعمره ٨٨ سنة عام عشر ومائة في رجب منها. بينه وبين محمد سيرين مائة يوم.

عن ثابت البناني قال: انصرفت من جنازة الحسن فقلت لبنتي: والله ما رأيت جنازةً قطُّ اجتمع فيها من الناس مثل ما اجتمع فيها، وإن كان الحسن لأهلاً لذلك، فقالت لي: يا أبة ما ذاك إلاّ لستر الله

عليه، فصغرت والله نفسي [1]. رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جنانه وجمعنا وإياه في دار كرامته.

* * *

(١) طبقات ابن سعد ٧ / ١٥٦، طبقات خليفة ت ١٧٢٦، الزهد لأحمد ٢٥٨، تاريخ البخاري ٢ / ٢٨٩، المعارف ٤٤٠، المعرفة والتاريخ ٢ / ٣٢ و٣ / ٣٣٨، أخبار القضاة ٢ / ٣، ذيل المذيل ٦٣٦، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الأول ٤٠، الحلية ٢ / ١٣١، ذكر أخبار أصبهان ١ / ٢٥٤، فهرست ابن النديم ٢٠٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٧، الحسن البصري الفرج بن الجوزي، تهذيب الأسماء واللغات القسم الاول من الجزء الاول ١٦١، وفيات الأعيان ٢ / ٦٩، تهذيب الكمال ص ٢٥٦، تاريخ الإسلام ٤ / ٩٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٦٦، تذهيب التهذيب ١ / ١٣٣ آ، البداية والنهاية ٩ / ٢٦٦ و٢٦٨، غاية النهاية ت ١٠٧٤، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٣، النجوم الزاهرة ١ / ٢٦٧، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٨، خلاصة تذهيب التهذيب ٧٧، طبقات المفسرين ١ / ١٤٧، شذرات الذهب ١ / ١٣٦.

obeikandl.com